دار قصص وحكايات
للنشر الإلكتروني ٢٠٢١

عدتَ للأُفقِ عائدتي

قصة طويلة

ولاء عدنان علي

عدت لأفقد عائلتي

قصة طويلة

ولاء عدنان علي

العنوان: عدت لأفقد عائلتي

النوع الأدبي: قصة طويلة

المؤلف: ولاء عدنان علي

قوة السرد: كتابات شبابية

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2021

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2021

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

1

سالم

"إنه في غيبوبةٍ الآن، لا أستطيع ضمان استيقاظه أو ضمان أنه سيكون بخير إن استيقظ عليكم بالدعاء له .. "

كان هذا ما أردفتُه لأحد الضباط المسؤولين عن الجنود، رأيتُ نظرة الحزن في عينيه ولكنني لم أكن بِقادرٍ على فعل أكثر من ذلك فقد أتوا بجنديّه متأخرين إلى المستشفى..

ابراهيم

وقفتُ على حافة غرفة الطبيب أستمع إلى ما قاله عن صديق دربي، ما إن أنهى كلماته حتى رأيتُ نفسي أذرف الدموع دون توقف..

كيف يمكنني التوقف وأنا الذي تأخَّرتُ بإسعافه؟! كيف أستطيع العيش بعدما سمحتُ لذلك الغاز اللعين بالدخول إلى رئتيه و الوصول به إلى هنا؟!

كل تلك الأمور تراودني دفعةً واحدةً ولكن اليقين الوحيد كان أنني المذنب وعلي تحمل العواقب مهما كانت ..

مرّت ثلاثةُ أسابيع وأنا أعتني به ولكنه لم يتحرك أبداً ولا حتى طُرفةَ عينٍ واحدة..

دخلتُ غرفته وبدأتُ أسردُ له يومي فقد أصبح هذا روتيناً يومياً لي ؛ أن أتحدث معه لساعاتٍ في هذه الغرفة بعدما ينتهي دوامنا في مهجع الجنود

" إذاً كيف حالك اليوم؟! لقد كان يومي مُتعباً جداً ؛ أنا أحسدك على عدم وجودك معنا هناك " قلتُ جملتي الأخيرة مُمازِحاً إياه و قد أمسكتُ يده أشدُّ عليها..

كانت تلك لحظاتٍ حتى رأيته يرمش بخفّة ؛ لم أعلم ما أفعل؟! لقد ركضتُ خارج الغرفة وبدأتُ الصراخ بكل ما أوتيتُ من قوة " استيقظْ، استيقظْ أقسم لقد استيقظ "

عندما عدتُ إلى غرفته كنتُ ممُسِكاً بطبيبه وجارّاً إياه من يده، رأيتُه قد بدأ بفتحِ عينيه شيئاً فشيئاً ثم نظر إلينا بغرابةٍ لم أستطع الاهتمام لها فكان جُلَّ اهتمامي حول ما سيقوله طبيبه.

_عُدَي_

فتحتُ عينايَ لأرى نوراً أجبرني على إغلاقهما تارةً أخرى، كانت أولى نظراتي نحو سقف الغرفة وجدرانها لأعلم أنني في المستشفى مع سماع صوت شخصٍ يضرخ في الأرجاء الأمر الذي جعلني أنظر لباب الغرفة مُستقبلاً شخصين يدخلان إلي..

نظرتُ إليهما باستنكارٍ لعلّهما يتحدثان ولكن أحدهما كان ينظر بفرحٍ لم أفهمه والأخرُ بدأ بفحصي..

أيقنتُ أنه طبيب ثم أكد لي بسؤاله " كيف تشعر؟! هل تتألم في أيّ مكان ؟! "

أردت إجابته ولكن نظرات الفراغ التي كانت تملئ عيناي أجابت قبلي فسَبقتْني ولَحِقتها بقولي " أنا بخير ، فقط بعض ألم الرأس ولكن لمَ أنا هنا؟! " توقفتُ للحظة لأنظر إلى الشخص الآخر ثم أكملت مُشيراً إليه "من أنت؟! "

بعدما رأيتُ نظرة المفاجئةِ على وجههِ أحسستُ للحظة أنني أعرفه ولكنّي لا أتذكره، كانت لحظاتٍ حتى أدركتُ أنني لا أتذكر شيئاً وأن الأمر ليس محظوراً بذاك الشخص..

نظرتُ إلى الطبيب الذي رسم الحزن ملامحه وفاضت عيناه دمعاً كاد يفضحه إلا قليلاً..

سالم

تحدّثت مُطمْئناً عُدي " أنا أتفهم عدم تذكركَ لشيء، ربما يكون هذا لوقتٍ قصيرٍ فقط ؛ لا داعي للقلق، الأمر أنكَ أتيت إلى هنا مُسعفَاً من قِبل إبراهيم إنه هذا الشخص الذي سألتَ عنه تواً وهو صديقك في خدمتك العسكرية، غازٌ سامٌ استنشقته وكدتَ تفقد حياتك بسببه لولا إبراهيم وقائد الضباط فقد عملوا جاهدين لمساعدتي على إنقاذك، كن شاكراً لهما حتى وإن لم تتذكرهما حسنا ؟ "

ابتسمتُ في نهاية حديثي لعل تلك الابتسامة تخفف عنه ثم خرجتُ من غرفته مُتزامناً مع خروج دموع إبراهيم، من المؤلم أن ترى أعزّ أصدقائك لا يذكرك وكأنك بتَّ غريباً لا تعني له شيئاً..

بعد شرحيَ وضع عُدَي لقائد الضباط فاجئني بما قاله عن حالته وعمّا علي فعله..

لا أصدق أنني قد أفعل هذا له..

2

سالم

وقفتُ في غرفتي تائهاً مُتسائلاً هل أسنِد الحائط أم أنه يسندني بعدما سمعتُ ذلك الحديث؟!

قد طغتْ الصدمة على لساني فباتَ ساكِنا بلا حراكْ وما زلت أحاول استيعاب ما شرحه لي قائد الضباط بشأن عُديْ ، ما زلتُ لا أفهم كيف يتخلّى عنه بتلك البساطة فقط لأنها أوامر إداريّة..

أعليّ الآن تسريحه من هنا ليذهب إلى اللامكان؟!

إنه لا يتذكر أي شيءٍ فأين سيذهب بعدما تم التخلي عنه بتلك البشاعة؟!

ابراهيم

كنتُ واقِفاً مع صدمتي التي ملئتني من أخمص قدماي وحتى نهاية رأسي ، نظرتُ مطوّلاً في عينيه قبل أن تسبقني دموعي وأقول مناجياً ذاكرته الباهتة " أحقاً لا تذكرني؟! ألا تذكر أي شيء يخصنا !؟ كل تلك الأيام في

المهجع ، الركض تحت المطر ، الاشتباكات التي نجونا منها بأعجوبة ؛ لا تذكر شيئاً منها حقاً !!؟

رأيته وقد تأثرَ بكلماتي حتى دمعتْ عيناه مُحاولاً استرجاع أيِّ حدثٍ قلته ولكن ليس باليد حيلة..

_عُدي_

مرَّ شهرٌ كاملٌ وما زال الحال كما هو ، ذاكرتي لا تساعدني وكأنها ذاكرة طفلٍ وُلد حديثاً أو كهلٍ أُصيب بالزهايمر فباتَ لا يتذكر مشوار حياته.

وقفَ أمامي الطبيب سالم وبدأ يتفقّد حالتي كما يفعل كل يوم ، رأيتُ عينيه تدور في أرجاء الغرفة ناظِرةً لكل شيء إلا عيني ، علمتُ أنَّ هناك ما يخفيه ولم يخِب ظني فقد هزّ رأسه موافِقاً مع قولي" أهناك مشكلة ؟!"

لقد قال ما قال وليته لم يقلْ ما قال فقد جعلني حديثه مُبْهَماً وجاهِلاً لكل شيء ؛ لم يعد عقلي يستطيع استيعاب الأمر ؛ نظرتُ إلى عينيه لعلّها تكون مزحةً منه ولكن قابلتني ملامحه الجادة التي أكّدتْ لي أنني سأتخرج من المستشفى وأذهب إلى اللامكان حيث لا أذكر عائلتي ولم يعد لديَّ أية وظيفة في مهجع الجنود بعدما تم الاستغناء عني ؛ لا أصدق أن هذا قد حدث لقد كنتُ أخدم في الجيش لسنتين ثم بسبب بُهتان ذاكرتي الذي كان إثر إحدى المهمات يتم التخلي عني..!!

نظرتُ إلى ابراهيم وقد رُسمت ابتسامتي تلقائياً بعد رؤيته ، رغم عدم تذكره إلا أنه أصبح صديقي مرةً أخرى بعد هذا الحادث..

أخبرتُه وأنا أمشي باتجاهه بعدما ارتديتُ ملابسي " سأشتاق إليك كثيراً ، أعدك بإرسال عنوانٍ مفصلٍ حالما أعثر على عائلتي ؛ ستأتي لزيارتي أليس كذلك؟! "

ابتسمَ لي آخذاً إياي في أحضانه و مُبشراً قلبي بأنه سيأتي إليَّ حتى وإن كنتُ في نهاية العالم.

ابراهيم

وصلتُ مع عُدي إلى باب المستشفى الرئيسي ثم أعطيتُه ورقة تحمل بِضع معلوماتٍ عن عائلته كنتُ قد طلبتها باسمه من قائد الضباط

نظر إليها بتمعّنٍ تام ثم قال لي " شكراً لك يا صديقي ؛ أراك لاحقاً "

رغم أن المعلومات كانت بسيطة وأن عملية البحث عن عائلته لم تكن مهمةً سهلة إلا أنه كان متفائلاً جداً كعادته..

_عُدي_

أخذتُ نفسي بما في ذلك ذاكرتي المفقودة وذهبتُ باتجاه مدينتي فقد كانت خدمتي العسكرية في مدينةٍ بعيدةٍ عن تلك التي جئتُ منها

بعدما وصلتُ إلى منتصف المدينة بدأت أشعر بالضياع ثم راودني الإعياء وبدء رأسي يدور..

لا أعلم ما حصل لكنني وجدتُ نفسي أُرْمى أرضاً..

3

_عُدي_

وقعتْ عيناياَ على لوحةٍ بيضاء أدركتُ في النهاية أنها سقف المستشفى ؛ ما لبثتُ حتى رأيتُ وجه فتاة جميلة تقترب مني ثم تبتسم قائلة " هل أنتَ بخير ، كيف تشعر ؟! "

أخبرتها وأنا أنظرُ حولي مُلْتَفتاً يميناً ثم يَساراً " أجل أنا بخير ؛ ولكن ما الذي حصل لي؟! "

أردتها أن تُطلعني على كل شيء ولكنها فضّلت الصمت وقالت بسرعة قبل خروجها من الغرفة " سيشرح الطبيب لك كل شيء عندما يصل "

بينما آلاف الأسئلة تحوم في رأسي في آنٍ واحد لم يكن أولها إلا لحاجٍّ مريضٍ كان على سريرٍ بجانبي "هل تعلم في أي حيٍ هذه المشفى ؟؟"

أجاب وقد علت الصدمةُ وجهه " لمَ هذا السؤال فجأة؟!"

أردتُ للحظة إخباره القصة لعلّ هذا يُطفئ حرقة قلبي ويروي عطش فضوله ولكني في اللحظة التي فتحتُ بها فاهِيَ لأتحدّث دخل الطبيب ..

ابراهيم

تلك اللحظة التي ودّعتُ بها عُدي حُفِرت في ذاكرتي لسنينٍ طِوال فقد خسرتُ قطعةً من قلبي

عدتُ إلى المهجع بعد توديعه وقد هربت بضْعُ دموعٍ من عيني دون استطاعةٍ مني لمنعها

ما زال لديّ عدة شهور لأنتهي من خدمتي وأعود إلى بلدي وأهلي..

_عُدي_

بعدما شرح الطبيب حالتي وفصّل لي كل صغيرة وكبيرة أجبته دون أن يرفَّ لي جَفن " أعلم هذا ، لقد شرح لي طبيبي كل شيء ولكني مع وضعِ موطِئ قدميَّ على هذه المدينة لم أعلم ما الذي حصل ، رأيتُ في ذاكرتي بضعَ صورٍ وكأنها لوحات تمرُّ أمامي ثم بلحظة واحدة كنتُ على الأرض"

قال الطبيب وقد علت الابتسامة وجهه " هذا جيد ، إن دلّ هذا على شيء فهو يدلّ على أن هناك احتمالاً كبيراً لاستعادة ذاكرتك سنجري بعض الفحوصات ثم أخبرك بالنتائج".

وقفتْ تلك الممرضة الجميلة أمامي وهي لا تنزع عيناها عن مجموعة الأوراق التي تمسكها ثم قالت وقد نظرت باتجاهي أخيراً " كل نتائج فحوصاتك جيد ، ستستعيد ذاكرتك قريباً فلا داعي للقلق ، إن أردتَ سأخبرهم للبدء بأوراق الخروج "

هززتُ رأسي موافِقاً لتبتسم لي قبل خروجها ، مسكتُ تلك الورقة وقد قرأتها للمرة الألف ثم قلتُ لنفسي بحزم "عليّ الذهاب إلى هذا الحي في أقرب وقت"

ها أنا أخرج من المستشفى لأرى عدّة سيارات أجرة بانتظاري ؛ ما لبث الأمر سوى نصفِ ساعة لأرى نفسي في حيّ الورود حيث كان من المفترض أنه الحي الذي وُلدتُ ونشئتُ فيه.

بدأتُ السؤال عن منزلي فكانت أول محطة أسأل فيها هي دكانٌ صغيرٌ بداخله عجوز يبلغ من العمر ما يقارب الثمانين ، اقتربتُ منه فابتسم لي و رددتُها بابتسامة تبِعها سؤالي "

هل تعلم أين هو منزل المكّا؟! "

رأيتُ آلاف الأسئلة في عينيه و صدمة وجهه التي كانت كصدمة إبراهيم عندما علم بفقدانيَ لذاكرتي

؛ قررتُ سؤاله بطريقة أخرى فربما لم يفهم سؤالي أو لم يسمعه جيداً " لقد قصدتُ شخصاً اسمه الثاني أو كنيته المكّا فهل تعرفه أو تعرف أين يقع منزله ؟! "

لم يُجبني ، بل لم ينطق حرفاً. كانت فقط الصدمة التي لم أفهمها تَطغى على كامل ملامحه ، قررتُ سؤال شخصٍ آخر فتركته مع صدمته ومشيتُ قليلًا.

أحسستُ أنني أعلم الحي ولكني لا أذكره بأي ذكرياتٍ محددة

وقفتُ أمام دكّانٍ بات من مظهرها أنها لبيع اللحوم و قد رأيتُ شخصاً أربعينياً يجولُ فيها ، دخلتُ إليه وقبل أن أتحدّث كان قد وقع في شِباكِ الصدمة وباتت قدماه لا تحمله ؛ اقتربتُ منه لأسنده ولكنه أبعدني ونظر إلي بتركيزٍ لم أفهمه ثم أغمض عيناه وأعاد فتحهما وكأنه لا يُصدِّق وجودي ، قبل أن أسأله سألني بصوتٍ مرتجفٍ " ألستَ عُدي ؟!"

كانتْ فرحتي كبيرة مع سؤاله ، لقد عرف من أكون إذاً لا بدّ أنه يعمل شيئاً عن عائلتي و عن منزلي.

هززتُ رأسي مُؤيّداً كلامه وكان من الصدمة نصيبٌ لي بعدما قال " لقد وصَل خبر موتك منذ سبعةِ أشهر ، أنت لم تمتْ إذاً"

4

_عُدي_

خرجتُ من دكَّان بيعِ اللحوم تلك وأنا لازلتُ غيرَ مصدقٍ لِما شرحه لي العم باسم ، ذهبتُ باتجاه منزلي مُتَّبِعاً خريطته التي شرحتْ لي مكان المنزل وشكله ، ما إن وصلتُ حتى بُهتُّ بما رأتْ عيناي ؛ كان منزلاً مرتفعاً عن تراب الأرض بواسطة بضعِ درجاتْ ، بابه خشبيٌّ مزخرفٌ زخرفة زراعية تُزيّنُ جانبيه ويتوسّطها آيةٌ قرآنية حُفِرت بدقة وإتقانٍ لا مثيل لها..

فجأة ، وبدون أيّ إدراك مني تراءت في مخيلتي صورة لأبي وهو يقول لي " ما رأيك بهذه الزخرفة يا بني؟! إنها جميلة أليس كذلك ؟!

ثم نظرتُ إليه بابتسامة خفيفة وأنا أقول له " إنها رائعة أبي سلِمتْ يداك"

ثم عدتُ إلى الواقع ، لا أصدق لقد بدأتُ أتذكر..

رفعتُ ابتسامتي ماشِياً باتجاه باب المنزل أسعى لدخوله وقبل وضع قدميَ على تلك اللَّبِناتِ المكوّنة لدرج المنزل ، تمسّكت بي فتاةٌ ذاتُ عشر سنوات وقد أمسكت ذراعي تشدُّ بي وتقول " إلى أين تدخل أيها المجنون ؟!!! لا يمكنكَ الدخول إلى هناك "

نظرتُ لها باستغرابٍ طغى على وجهي وملأ عيناي ثم تحدّثتُ " ما بكِ ؟! من أنتِ ؟! ابتعدي أريد الدخول إلى منزلي .."

للحظة تمنّيتُ أنني لم آتِ إلى هنا و لم أعلم أين هو منزلي أو ربما كانت أمنيتي أنني لم أفقد ذاكرتي وبقيتُ حيثُ كنتُ دون علمٍ مني بما حصل في منزلي وبما حصل لعائلتي..

جلستْ تلك الفتاة التي كادت تمزّق قميصيَ منذ لحظاتٍ على الرصيف بجانبي وبعينان فاضتْ دموعهما قالت " أنا آسفة لأنني قلتُ هذا ، لم أكن أعلم أنّ أصحاب هذا المنزل المهجور هم عائلتكْ ، أعتقد أن عليكَ سؤالُ أبي عن القصة الكاملة فهو لم يُرِدْ سردَ القصة لي قائلاً أنها مخيفة وأنه عليّ فقط الابتعاد عن هذا المنزل ولكنه سيشرح لك بالتأكيد "

نظرتُ إليها قليلاً ثم لم أعدْ أسمع كلماتها فقد باتَ صوت رأسيَ أعلى وأصخب بألف مرة من صوتها الرقيق الطفولي..

كانت آلاف الأفكار تغزو رأسي دفعةً واحدةً حتى ظننتُ أنني سأفقد الوعيَ مجدداً ، عليّ معرفة ما الذي حصل لعائلتي وكيف ماتوا وكيف أصبحتُ ميّتاً أيضاً ، لا بدَّ أن أعلم ؛ انتهت تلك الجملة الصامتة بكلمة " أعلم "صاخبة تزامنت مع وقوفي..

أردتُ الذهاب باتجاه دكان العم باسم مجدداً فلعلّ صدمته زالت واستطاع شرح الأمر الذي سبب صدمتي ولكن تلك الفتاة شدّتْ يديَ

بالاتجاه المعاكس لوجْهتي ثم قالت وهي تجرُّ بي " أخبرتك أن تأتي معي وأبي سيشرح لك ؛ هل أنت صغيرٌ لا تستوعبُ ما أقول كأختي ربى أم ماذا؟! "

ذهبتُ معها فلا إمكانية للهروب من هذه الفتاة ..

العم باسم

ما زال عقلي يرفض ما رأتْ عيناي ، لقد عاد عُدي إلى هنا !!

كيف يمكن هذا ؟!

ليت السيد أحمد كان هنا ليرى ابنه الذي أصبح شاباً ، كم كان سيُسعدُ برؤيته بعد غيابٍ دام أكثر من سنة ..

لم أعلم ما الشعور الذي اقتحم قلبي أثناء شرح عُديٍ لِما حصل معه أكانت تلك مشاعر الحزن على مرضه وبُهتان ذاكرته أم أنها مشاعر الشفقة على عودته ليكون وحيداً بلا عائلة

حاولتُ جاهداً شرح ما حصل لعائلته وإخباره أنهم توفوا جميعاً ولكن لم يكن الأمر سهلاً على لساني الذي شُل في تلك اللحظة رافِضاً الحديث وفتح الموضوع فكان الصمت هو المسيطر تماماً ، كل ما استطعتُ فعله هو إرشاده إلى منزله فقط..

ـكرمـ

وقفتْ ابنتي تُقابل جسدي وهي تقولي لي " أبي ما رأيك فيما وجدتْ ؟! "

حدّقتُ بها وقد رُسِمت ابتسامة شفتاي مع قولي " وهل تظنين أنك وجدتِ شيئاً ، إنه رجلٌ كامل !!!

ثم نظرتُ إليه وأنا أراه يُحدِّق بعيني وكأنه يحاول التعرُّف علي فهززتُ رأسي نافياً أفكاره ومُحبِطاً آماله ثم قلت له مُشيراً إلى منزلي " لقد انتقلنا إلى ذلك المنزل منذ ثلاثة أشهر ، اعذر ابنتي إن أزعجتك "

حاولَ التحدُّث ولكن تمارة قاطعته بقولها لي " أبي إنه من سكّان المنزل المهجور ، لقد وجدته هناك وهو يحاول الدخول إلى المنزل كالمجانين!! "

ربما كان عليّ معاقبة تمارة لِما قالت ولكن كلماتها عن ذلك الشاب وتذكُّر ما حصل لمنزله كانت كفيلة بِنسياني لباقي حديثها ..

5

كرم

نظر إليَّ ذاك الشابُ العشريني وهو ينتظرُ أن أُحدِّثه بما يريد ولكن لسانيَ عُقدَ فما عاد في استطاعتي التحدُّث ولو أردتُ..

بعدما أضفتُ ضيفيَ بكوب قهوةٍ عربيّ كنتُ قد اشتريتهُ خصيصاً من البرازيل أخبرته بصدقٍ بات طاغياً واضحاً على ملامحي وكلماتي..

" لا أريدُ إحباطك ولا أُحبِّذُ كونيَ مَن يخبركَ بهذا ويكونُ سبباً يُحزن قلبك ويُطفئ شرارة الأمل في عينيك ولكن عليَّ أن أكون صادقاً ما استطعتْ ، سمعتُ عمّا حدث لعائلتكَ بعد انتقالي للسكن في هذا الحيّ ؛ لقد توفّيت عائلتك كاملةً في ذات اليوم ولربما بدى الأمرُ غير منطقيٍ لك ولكني سمعتُ القصةَ كالتالي : كانت عائلتك انطوائية لا إلفة لها مع باقي سكّان الحيِّ لذلك لم ينتبه أيُّ أحدٍ لاختفائهم ولكنّ أحد أصدقاء والدك جاء إلى منزلكم لرؤية والدكَ والاطمئنان عليه فقد كان غائباً عن الأنظار لثلاثة أيام ، بعدَ طرق الباب لفترةٍ طويلة وسؤال أصحابِ محلات الحيّ وسكانه والتّأكد من عدم رؤيته أو رؤية أيٍ من أفراد العائلة خلال الأيام الثلاثةِ الماضية تم الاتصال بالشرطة ، بعدما وافقتْ الشرطة على خلع باب المنزل والدخول إليه و أمام أنظار جميع السكان الذين اجتمعوا مع وصول الشرطة تم الدخول إلى المنزل ورؤية أفراد عائلتك مُلْقَون أرضاً دون أيّ حركة ..

تم إخلاء المنطقة وبعد التفتيش جيداً و الفحص الشرعي للجثث تم التأكد من موت جميع الأفراد اختِناقاً بغاز أول أوكسيد الكربون وهو غاز سام ، تم تسجيل القضية ضد مجهول فرغم أنها تبدو كقضية قتل إلا أن الشرطة لم تستطع إيجاد أيّ أثر لقاتل أو أثرٍ لطريقة انتشار الغاز..

بقيَ المنزل مغلقاً منذ ذاك اليوم وحتى اليوم ولم يحاول أيّ أحد الدخول إليه..

أنا أعتذر عن إخبارك كل هذا ، وأقدّر أنك فاقِدٌ لعائلتك ..

_عُدي_

سبّب لي ذاك الرجل صدمةً تُضاهي أضعاف الصدمة التي سبّبتها ابنته عندما صعَقتْني بخبر وفاة عائلتي..

أليس أمر موتهم غريباً ؟!

رأيتُ نفسي أقف وأنا أبكي ثم ركضتُ باتجاه منزلي ، أريد دخوله ، أريد نفيَ وتكذيب ما قالوه عن عائلتي ؛ كيف يحصلُ هذا لي لقد جئتُ كل ذاك الطريق لأجلهم

لو أنهم انتظروا لنموت معاً كعائلة..

أم أنّ قلوبهم أحسّتْ بما أصابني فكانوا السابقينَ وظنوا أني من اللاحقين..؟!

إن كان الأمر كذلك لمَ لم أمُتْ ؟! لمَ استيقظتُ ولم ألحق بهم؟!

وقفتُ أمام منزلي بعد كل تلك الأفكار التي راودتْ عقلي وأثارتْ دموعي و بنظرةٍ تملؤها آلاف المشاعر المُبهمة التي لم أستطع تفسيرها قلتُ مُحادِثاً نفسي " سأعلم ما الذي حصل لكم..

لن أجعلَ الأمر ضدَّ مجهولٍ ولو كِلَّفني الأمر حياتي..

ما عِدتُ أخشى شيئاً الآن "

ثم تقدّمتُ نحو باب المنزل ، وقفتُ أمامه وأدخلتُ المفتاح الذي أعطاني إياه العم باسم بينما كنتُ جاهِلاً سبب وجوده معه ، لقد فهمتُ الآن..

رأيتُ كمية الغبار التي ملئتْ كل تلك الزخرفات المحفورة على الباب الخشبي ولكني لم أهتم..

دخلتُ المنزل ؛ بوضْعِيَ قدميَ اليُمنى داخله شعرتُ بالبرودة قد سرتْ في جسدي تُنذِرُ بمنزلٍ لا يحملُ عاطفةً أو دفء بين زواياه..

مع وضعيَ قدميَ اليُسرى لأكون داخل المنزل سمعتُ أحداً يُنادي باسمي بفرحٍ لم أرهُ منذ فتحتُ عينايَ عائداً إلى الحياة من غيبوبتي..

لقد كان يصرخ بقوة " عُدَي "

بعد ساعة من شرح الأمر لي وقفتُ أمامه وأنا أنظر له بنصف عين ، ما زلتُ لا أصدِّقه كامل التصديق فما مررتُ به كان كافياً لجعلِ ثقتي تُعدَم تماماً بمن حولي ، اقتربتُ منه وقلتُ مُلخِّصاً كل ما قاله لي " إذاً أنت ابن خالي يوسف الذي توفي في كندا منذ عدَّة سنوات وقد وصلتَ اليوم من كندا بعدما علِمتَ بكلّ ما حصل لعائلتي.."

وقفَ بجانبي وقال مع ابتسامة زيّنتْ وجهه " أجل هذا ما حصل ، ولكني تفاجأتُ بأنك حي ، لقد سمعتُ خبر موتك أيضاً "

6

_عُدي_

دلفتُ إلى المنزل أُبعثر عنه غباره وأنزعُ عنه رثَّه ، توقفتُ وقد استدار جسدي تلقائياً باتجاه ابن خالي يوسف أسأله " إذا اسمكَ سَراب؟! "

لقد أردتُ التحدّث إليه بشأنِ بقائه معي هنا ولكن وسواساً في رأسي قد طرقَ باب ذاكرتي ليقول لي " أنت تسمع هذا الاسم لأول مرة في حياتك ، ليس لهذا الاسم أيُّ وقْعٍ على أُذني ، علي أن أتأكد أنه ابن خالي يوسف قبل السماحِ له بالبقاء معي ، ماذا لو كان له علاقةٌ بمقتل عائلتي وخصوصاً بعد قوله أنه كان يظُنني ميّتاً.."

ابتسمتُ في وجهه الذي كان يرسمُ علامات الاستغراب ثم أخبرته أن لديّ بعض الأشياء التي يجب أن أفعلها وأن يعتبرَ المنزل منزله ثم خرجتُ باتِّجاه دكان العمِّ باسم..

أنا على يقينٍ أنه لن يَخذلني أبداً..

كرم

رأيتُ عُدي يدخل مع شابٍ إلى المنزل ، كان لِزاماً علي أنْ أحاول مساعدة عُدي لتخطي هذه المرحلة رغم أنني غريبٌ عنه ، لم أعي على نفسي إلا وأنا أُنادي تمارة وأخبرها أن تأخذ لهم بِضعاً من الطعام لاحقاً..

لقد وعدتُ نفسي أن أساعده مهما تطلب الأمر ..

العم باسم

كانت الساعة تُشير إلى السابعة صباحاً حينما استيقظتُ مُستعِداً للذهاب و العودة بالخبر اليقين الذي سيُريح قلب ذلك الشاب ..

رغم أنَّ والده لم يكن بصديقٍ لي ولكنني أحببتُ عُدي منذ نعومةِ أظفاره وأما الآن فأنا أشعر بالمسؤولية تجاهه كأنهُ ولدي ، لقد قررتُ مساعدته مهما طلب مني..

PM 11:23-

عدتُ إلى دكاني لأفتحها وأبدأ عملي فقد ذهبَ نصف نهاري بالفعل ؛ أخبرني عُدي أنه سَيأتي من أجلِ ما يريد لذلك ما عليَّ سوى انتظاره!

_عُدي_

مضى أول يوم كبيسٍ و قد أصبحتُ بآخر ، استيقظتُ لأرى نفسي على سريري يقابلني وجه سرَاب بعدما أمضينا الليلة الماضية في غرفتي السابقة..

لقد كانتْ غرفتي مشتركة بيني وبين أخي الأصغر أما أختي الكبيرة فلطالما امتلكتْ كل شيء دون مشاركة فهي البِكرُ والمدللةُ..

نظرتُ إلى سراب ، كان غارِقا في النوم يُخَيَّلُ إلى ناظِرِهِ أنه لن يستيقظ بمئات السنين تماماً كأصحاب الكهف.

استغلّيتُ هذه الفرصة ؛ سأبدأ البحث في المنزل ، سأبحث في كل زاوية لعلّ شيئاً ما يساعدني في معرفة حقيقةِ ما حدث أثناء غيابي.

دخلتُ غرفة أختي وبدأتُ البحث ، كان الغبار يغطي كل إنشٍ من الغرفة ولكن ذلك لم يكن اهتمامي ، بحثتُ في الخزانة ، المكتبة وفي الدروج ولكن حظِّي الأعثر لم يساعدني فكان للفشل نصيبٌ من بحثي ، خرجتُ وقد أغلقتُ الباب خلفي إلا أن قطعة القماش الموضوعة أمام الباب قد أثارتْ اهتمامي فَقلبتُها وقد رأيتُ قطعة ورقٍ صغيرة تحمل حرفاً غريباً ، لا أعلم ما كانت تفعلُه أختي وما كانت تدرسهُ في جامعتها من لغات و لكن شعوراً أخبرني أن أتمسك بهذه الورقة لعلّها تكون طرف الخيط لقضيتي..

كانت بين نواياىَ البحث في كلِّ الغرف ولكن استيقاظَ سراب ورؤيته أمامي فجأة يفركُ عينيه العسلية جعلتني أتوجَّه إلى المطبخِ بعذر الفطور وقد أخفيتُ قطعة الورق التي وجدتها في جيبي..

سراب

فتحتُ عيناي لأرى سرير عُدي فارغاً ، خرجتُ باحِثاً بعيني عنه ، لقد خبّأ شيئاً ما بسرعة وأخبرني أنه ذاهبٌ للمطبخ ، عذرٌ سخيف اخترعه ولم أفهم سببه ولكني لحِقتُ به مُخبراً إياه أن المنزل فارغٌ من الطعام وأنني سأخرج لشراءِ شيءٍ يُؤكل ولكنه فاجأني بقراره السريع قائلاً " لا أنا سأذهب ، ابقَ أنتَ هنا "

_عُدي_

خرجتُ من المنزل مُسرِعاً فقد كان شراء الطعام عذراً مناسباً لأخرج ، وجّهتُ وِجهَتي نحو دكَّان العم باسم لمعرفة حقيقة سراب ..

7

_عُدي_

ريثما أصلُ إلى وجهتي فكّرتُ للحظة بتلك الورقة التي وجدتها ، لقد كان حرفاً غريباً لم أرهُ مُسبقاً ثم تذكرتُ ما جعلني أقفُ دون حراكٍ من الصدمة ، رأيتُ فلماً قصيراً عرضَته لي ذاكرتي لقد كانت أختي على ما يبدو ، ضحكتْ بابتسامة لثوية وقالتْ لي " أنتَ لا تعلم شيئاً ولكني أحب هذه اللغة كثيراً وأنا أتعلّمُها بشغفْ ، سأكتبُ لك اسمك انتظر " ثم جلبتْ ورقة وكتبتْ اسمي بأحرفٍ بدتْ كحروفٍ صينية ، أعطتْ الورقة لي قائلة هذا هو اسمك ..

بدأتْ عينايَ تدور و قد شعرتُ بنفسي أفقد توازني ولكني صمدتُ ، لقد كان هذا حقاً معجزةً لي ، إذاً هذا الحرف الغريب هو أحد حروف اللغة الصينية أو ما يُشبِهها ، سأبحثُ عنه فور عودتي

العم باسم

وصلَ عُدي وقد بدى شاحباً فجلس وشرب القليل من الماء ثم انتظر حتى هدأت نفسه قائلاً " أستطعتَ معرفة شيء؟! "

و بابتسامة هادئة أحاولُ من خلالها جعله أفضل ولو قليلاً أجبتهُ " لقد كان كل شيء حقيقياً فلا تقلق ، إنه حقاً ابن خالكَ يوسف وهو يُسمى سراب ، تأكدتُ من كل تلك المعلومات بنفسي من موظّفِ النفوس "

رسمَ عُدي ابتسامة أبدَتْ اطمئنانه ثم قال " ما زال عليّ أن أكون حَذِراً "

_عُدي_

عدتُ إلى المنزل و قد رأيتُ سراب يخرجُ من الحمام وهو يحملُ في يده مكنسةً و خرطوماً يضخُّ الماء ثم ابتسم لي وقال " لنأكل ثم نبدأ التنظيف"

كنتُ أقفُ وأنا أراه يأكل من الأكياس التي جلبتُها في طريق عودتي مُنصَدِماً منه و الريبة تستملكُ عقلي..

بدأتْ عمليةُ التنظيف التي استمرّت لساعاتٍ طِوال لم أجد من خلالها أيَّ أثرٍ لأي شيءٍ قد يُساعِدني في بحثي

تأكدتُ أن سراب أخذ فِراشه وسمعتُ صوت شخيرهِ ثم أمسكتُ هاتفي أبحث عن ذلك الحرف الذي وجدته ، بعد عدّة محاولاتٍ مني كان الحرف

باءً ، الباء الذي جعلَ من عقلي مشوّشاً أيمكن أن يكون ذلكَ يدلُّ على اسم سراب؟!

سراب

استيقظتُ على صوت طرقٍ قوي ، كان باب المنزل ، هرعتُ لأفتحه لأرى فتاة صغيرة طولها نصف متر تنظرُ إلي بعيون جميلة ثم قالت " هل عُدي هنا ؟! أريد أن أوصلَ له هذا " ثم رفعتْ يدها تُريني طبقاً كانت تحمله ..

بعدما أيقظتُ عُدي اتّجه نحو الباب وابتسامة جميلة تُزيّن وجهه ما لبثَ أن أخذ منها طبقها حتى رأيتُه ينظر باتجاه شيءٍ ما تزامناً مع تلاشي ابتسامته ثم مشى خارج المنزل ونظرَ نحو الباب الخارجي ، كان هناك رسالة وُضعتْ على الباب أمسكها ليقرأها ، ثم نظر لي..

_عُدي_

شعرتُ بشيءٍ موضوع ع الباب بعدما رأيتُ نظراتِ تمارة نحوه ، انتظرتها حتى ذهبتْ ثم خرجتُ ممُسكناُ بتلك الورقة وقرأتها. كانت رسالة تهديدٍ واضحة ، نظرتُ نحو سراب " أيمكن أن يكون هو؟! "

قررتُ استدعاء كرم والعم باسم وسراب ووضع خطة لجعل القاتل يقع في يدي..

بعدما تم الاجتماع ممدتُ الورقة إلى العم باسم الذي قرأها بصوتٍ عالٍ " ستلحقُ عائلتكَ قريباً ، لا تقلق "

قلتُ بصوتٍ بات واضِحاً " علينا الإمساكُ به ، إنه يترصَّدُني حتماً.. "

8

_عُدي_

بالتأكيد لم أكن مُغفلاً لدرجة وضعِ خطةٍ مع شخصٍ أشكُّ به ، ولكني كنتُ على يقينٍ أن استبعادي لسرابٍ كافٍ لجعله يستشعرُ قلقي وشكّي به ، ذلك الشكِّ الذي يتغلغل داخلي تجاهه منذ أول لقاءٍ بيننا وحتى هذه اللحظة ، ما كان مني سوى أن أضعَ خطةً بوجودِ الجميع دون استثناء و خطةً أخرى أحبِكها مع نفسي على أن تسيرَ الخطتانِ بذات المسار والأحداث ثم تنحرف كلٌ منها في اتجاهٍ بعد نقطةٍ ما..

الساعة تخطَّت الحادية عشر وما زلتُ أمَثِّل النوم فجأة ، سمعتُ حركة ؛ دارتْ لي بِضعُ أفكار تخبرني "هل أتخيل هذا؟! " قُطعَتْ حبالُها بسماعي للحركة مجدداً ، لا أحد في المنزل غيري ؛ لا بدَّ أنه القاتل..

استقمتُ بهدوء حتى باتت خطواتي لا تُسمَع ، اتّجهتُ نحو الباب ووقفتُ ورائه ، إن دخل إلي سأمسِكه حتماً..

انتظرتُ لحظة ، انثنتان ، ثلاث ولكن ، لم يحدث شيء و لم أعد أسمعُ شيئاً ولكنني ما زلتُ واقِفاً بلا حركة ؛ ربَّما هو ع الجانب الآخر من الباب يسمعُ حركتي كما أفعل.

استدرتُ باتجاه السرير بحركةً عفوية لألمحَ ما لم تصدِّقُه عيني ، كان هناك هناك على باب الشرفة المقابل تماماً لباب الغرفة حيث أقفْ ، إنه على الشرفة ولكنْ لمَ لم يدخل إلي..!!

حاولتُ الاقتراب ولكن خطوةً واحدة جعلتهُ يختفي ، ذهبتُ إلى الشرفة ثم هرولتُ باحِثاً في كل أرجاء المنزل ، لقد اختفى ؛ لا بدّ أنه رحل

أخذتني قدمايَ نحو سريري ثم استقبلتني أفكاري " كيف لم أشعر به بينما كان يُقابلني ؟! لمَ لم يأتي باتجاهي بينما كنتُ مُنغَرِساً في أفكاري أحاول سماع حركته ومُقابِلاً له بظهري ؟! لقد كان يراني بوضوح!!

Am 6:12-

أعلنتْ الشمسُ شروقها ومازلتُ مُستيقِظاً تأخذني أفكاري جنوباً وشَمالاً حتى شعرتُ برأسي يكاد ينفجر ..

سراب

طَرقتُ الباب صباحاً ثم انتظرته حتى فتحَ لي وأخبرني أن أدخل ولكني لم أتحرك بقيتُ واقِفاً حيث أنا وحين استدارَ باتجاهي مُستغرباً من وقوفي قلتُ مُيشرا إلى الباب " هناك رسالةٌ أخرى ، هل أتى البارحة ؟! هل نجحت خطتنا؟؟!"

لقد اتفقنا على جعلِ عُدي ينام وحده بينما أغادر المنزل في حُجَّة السفر ، كنا ننسجُ آمال اقترابِ القاتل من المنزل ، أما دورنا فكانَ مراقبة المنزل من الأسفل و الهجومُ للإمساكِ به مع إشارة عُدي ، كنتُ أدعو أن يأتي وألّا يخيب ظني لعل هذا ينفي شكَّ عُدي بي ويجعله مُتأكداً بأنني لستُ من قتَل عائلته..

_عُدي_

تركتُ سراب الذي شرد في أفكاره وأمسكتُ الورقة تَقرؤها عيناي ولا تُصدِّق ، صُدمتُ من محتواها واتّجهتُ نحو هاتفي أتصلُ بالجميع..

اجتمعنا وبدأ الحديث مع إبداءِ نظرات الثقة للجميع ، لأول مرة..

لا أعلم من هو الشخص المطلوب ولكن أصبحَ يقيناً أنه ليس سراب ، فهو لم يُفارق كرم طيلة ليلةِ أمس.

قرأتُ بصوتٍ عالٍ بعض الشيء " كان هذا تحذيراً ، لا تتجرأ على اللعب معي "

ثم رويتُ ما حدث البارحة ، كانت الصدمة تُزيّن وجوه الجميعِ حتى نطق كرم..

كرم

" لنضع خطةً أفضل ، لا بد أن المنزل مراقب " قلتُ كلماتي ثم اقترحت أن نذهب لمنزلي ونضع الخطة هناك ثم نفكر بالدافع الذي يجعل شخصاً يقتلُ عائلة..

9

سراب

تم وضعُ خطةٍ جديدة عسى أن تُؤتي ثمارها ، وقفتُ وقد اتجهت نحو عُدي الذي همَّ واقفاً أيضاً ثم اتجهنا نحو منزلنا مغادِرين منزل كرم ، علينا أن نبدأ التحضير لكل شيء ، يجب أن نكون حذرين جداً هذه المرة ..

وصلنا إلى المنزل ولكن عُدي جذبني باتجاه غرفة الكراكيب ؛ تلك الغرفة التي تُوضع فيها كل الأشياء عديمة الفائدة ، كانت الغرفة الوحيدة المُغلقة بلا أيةِ نوافذ أو شرفة تُفتحُ عليها ، أشار لي أن أصمت تماماً وبدأ يكتب على ورقة بخطٍ صغيرٍ ناعمٍ..

_عُدي_

خطر لي خاطرٌ ، ماذا لو أنّ المنزل مراقبٌ من الخارج ؟! ولهذا سحبتُ سراب إلى هذه الغرفة المسدودة ثم راودتني أفكاري بوجود جهاز تنصُّتٍ في المنزل فقررتُ الكتابة ، بدأت أكتبُ بخطٍ صغيرٍ لا يُرى من خلال كاميرا أو شيءٍ كهذا..

" سراب ، أنا أثقُ بكَ جيداً ، أثق بالجميعِ أيضاً ولكن أظن أن علينا تغيير الخطة ، لا أعلمُ لمَ ولكن شكّاً يُساوِرني تجاه كرم فما رأيك؟!

بعدما قرأ رسالتي بدأ يكتب ردّاً قال فيه " أنا معك في أي شيء ، لنفعل ذلك !!

Pm 9:30-

اتَّجهتُ باتجاه غرفةِ النوم لألمح سراب قد أخذ سريره سابِقاً إياي ، استلقيتُ وقد غمزتُ له ثم بدأت مراحل التثاؤب التي اكتملت بالنوم

سراب

بعد ما يقارب ثلاث ساعاتٍ من تمثيل النوم العميق ، شعرتُ بحركةٍ خفيفة تكاد تكون معدومة ، أعطيتُ همسة صغيرة لِعُدي الذي فتح عيناه مُعلِناً استعداده الكامل ، بدأتْ الحركة تُبدي أصواتها أكثر فأكثر ، ثم في لحظةٍ واحدة سكنَت الحركة وعمّ الهدوء تماماً ، رأيتُ ظِلّاً يتحرك في شعاعِ الضوء النافذّ من الشرفة مُعلناً وجود أحدٍ في المنزل ومُيَقِّناً بذلك..

انتظرتُ دخوله لأعطي الإشارة التالية لكنه لم يدخل ، بدى للحظة واقِفاً بلا حركة ثم استدارَ واختفى كنسمةِ هواءٍ باردة اختفتْ في هواء صيفٍ حار ؛ لحظة واحدة كانت كافية لجعله يتبخّر.

استقمتُ من مكاني ناظِراً نحو عُدي

_عُدي_

كانت الخطة أن نمثِّل النوم وننتظر مجيء الشخص المطلوب ثم نمسكُ به ، بينما كانت خطتنا التي رُسِمت مع كرم والبقية تفيد بالانتظار حتى هدوء الوضع ظنّاً منا أنه لن يُهاجمنا فوراً ثم محاولة إمساكه بذاتِ الطريقة ولكن يبدو أنه أحسّ بإدراكنا للوضع ولهذا اختفى ، نظرتُ إلى سراب الذي بادلني النظراتِ ثم قال " لا بأس سنحاولُ مجدداً ، لا يبدو أنه يريد الاستسلام ونحن لن نفعل أيضاً "

استقمتُ أمشي ذهاباً وإياباً ثم أمسكتُ ورقة وبدأت أكتب " لقد علم أننا مستيقظون ، كان يريد الإيقاع بنا ، علينا استدراجُ الآخرين ومعرفةُ الحقيقة فإما أنّ أحدهم قد سرّب خطتنا أو أن أحداً منهم هو القاتل ، نحن لم نضع خطتنا في هذا المنزل حتى ؛ لذلك لا بدَّ من وجود شخصٍ ما يُرسلُ ما نفكر به للقاتل ، فالقاتل قد جاء اليوم ظناً منه أننا نائمون حقاً ولا ننتظره تماماً كما تم الاتفاق في منزل كرم "

أعطاني سراب نظرةَ موافقة قبل أن يُغمِض عيناه ذاهِباً باتجاه أحلامهِ

كرم

حاولتُ الاتصال بعُدي ولكن الاتصال لم يُؤتي نتيجة فقررتُ الذهاب لمنزله ، ما إن فتحَ لي الباب حتى رأيتُ وجههُ ، عيناهُ الناعستينِ المليئتينِ بآثار النوم ؛ أفسح لي مجالاً فدخلتُ ثم وقفتُ متَسمّراً بعد سؤاله..

"هل تعلم ما حصل ؟! لقد أتى البارحة.."

صُدِمتُ من كلماته التي عنتْ و أدلّت على شكّه بي ، نظرتُ إليه مصدوماً ثم قلتُ مصدوماً " أتشكُّ بي؟!"

رأيته ينظرُ إلي ، نظرةُ الشّك تملئ عينيه ، أردتُ أن أدافع عن نفسي ولكنهُ قال ضاحِكاً " كانت مزحةً وحسب لمَ أنت جدّيٌ هكذا؟! "

أعلمُ يقيناً أنها ليست مزحة ولكنني ضحِكتُ في وجهه وقلتُ مُحادثاً نفسي" يبدو أنَّ عليَّ الحذر أكثر.."

10

سراب

بدأتِ الأمور تتشابكُ أكثرَ فأكثر وخصوصاً مع الشكِّ الذي يُساوِر عُدي تجاهَ الجميع ، رغمَ تصديقي لهُ إلا أنني أشكُّ أنَّ القاتل بيننا و مع ذلك ما زال أمر تسريبِ خُططنا مُريباً حقاً..

رأيتُ الاحتداد الذي حصل بين عُدي و كرم ولكنني فضّلتُ البقاءَ حيادِياً ، جاء العمُّ باسم لاحِقاً بِكرم الذي استبقهُ وجالِباً ابنه معه.

كرم

جلستُ بانتظار العمِّ باسم الذي أخذ خُطاه باتجاه منزله لجلبِ ابنهِ معه ليكون لنا سنداً ويشدَّ به عضُدنا فقد عُرِفَ ابنهُ تيم بحنكَتِه وذكائهِ

طُرِق الباب وقد ذهبَ سراب لفتحِه مُستَقبلاً الفردَ الجديد

كانتْ لملامحي نصيبٌ من الحزن وقد أصبحَ الأمر واضحاً بعد كلماتِ عُدي ، حاول سراب تلطيف الجوِّ مُفسِّراً ما فعله عُدي ولكن ذلك لم يكنْ كافياً..

سراب

رحَّبتُ بالعم وابنه الذي عرّف بنفسهِ ثم بدأتْ مُحادثَتنا ، شرح عُدي ما حصلَ البارحة دون أن يتطرّأ إلى ما أقدمنا عليه من تغييرٍ في خُطّتِنا التي عُقِدت في آخر مُحادثةٍ بيننا

نظرتُ حولي ثم اقترحتُ سماع رأيِ الفرد الجديد الذي استقام وبدأ يشرحُ فِكرته ورأيه بما يحصل..

تيم

وقفتُ وقد استعددتُ نفسياً لأطرحَ أفكاري أرضَ عقولهم ، نظرتُ باتجاه عُدي ثم بدأتُ الشرح قائلاً " الأمر ليس في الخطة ، الخطة لا بأس بها وحتى أنه لا مفرَّ منها فلن تكونَ هناك أفكارٌ أفضل ، ما يحصلُ أن القاتل يريد عُدي ولكنه في ذات الوقتِ حذِر للغاية ؛ ما إن يشعرُ بأيّ حركةٍ قد تُكبّلُ عنقهُ وتجعلهُ قيد الخطر حتى يفرَّ هارباً ، هذا ما أستطيع فهمهُ مما قلتم ، أما عن فكرتي فهيَ كالتالي.."

_عُدي_

بعدما انتهى الاجتماع استأذنتُ كرم بدقيقةٍ من وقتهِ وقد اعتذرتُ له عمَّا فعلته وعن شكي بهِ ، لقد كان كلام تيم صحيحاً فأزال شكي بقوله أن القاتل إن كان بيننا أو كان يعرفني لوضع سمَّاً في طعامي أو شرابي وأنهى الأمر ؛ لن يكونَ عليه أن يُخاطر إلى تلك الدرجة لقتلي إن كان يستطيعُ فعل الأسهل..

شعرتُ بنفسي وقد استعدْتُ ثقتي بالجميع وقررتُ الوثوق بخطة تيم التي شرحها لنا كتابةً خوفاً من أية كاميرات ..

سراب

كان تيم جديراً بالثقة ولكن قلبي لم يكن يثقُ به ؛ أحسستُ بأن شيئاً ما سيحصل ولهذا ذهبتُ باتجاه منزلِ كرم الذي استقبلني مُستَغرِباً مجيئي مع وصول الساعةِ إلى السادسة ، أزلتُ استغرابه مُخبِراً إياهُ بكل شيء ، مشاعري ، أفكاري وأيضاً شكي الغير منطقي ولكن ، لقد صُدِمتُ بردّه حين قال " أنا أيضاً أشعر بذاتِ الشعور ، علينا الحذر "

جلسنا نفكرُ فيما نفعل حتى لمعتْ في ذهني فكرة ؛ اقتربتُ من كرم وبدأتُ بشرح فِكرتي التي جعلتْ ابتسامتهُ تتسع

_عُدي_

اتَّخذتُ خُطايَ باتجاه السرير سامِحاً للنعاس بالسيطرة عليْ ، أخذني السرير بينَ أحضانه بينما طغتْ الأحلام على سراب منذُ نصفِ ساعة فكَّرتُ للحظة هل ما أفعلهُ هو الصحيح ؟!

بدأتُ أُراجع خطة تيم في عقلي ، إنها لَخُطةٌ مجنونةٌ للغاية ولكن الشيء المريح هو تلك الكاميرا التي وضعناها لتُراقب الوضع لنا..

نظرتُ نحو سراب ثم قلتُ مُحادِثاً نفسي " إن لم تنجح خطتُنا سيكون الموت مصيرنا يا ابن خالي.."

11

سراب

استيقَنتُ نوم عُدي من شخيرِهِ الذي كان يدوِي في أرجاءِ الغرفة مُعلِناً نومه ، من المُفترضِ أن أكونَ نائماً أيضاً لولا التغيير الذي أحدَثتهُ برفقةِ كرم البارحة فبحسبِ الخطة التي رسمها وخطَّ أحداثَها تيم يجب أن أكون نائماً في هذه الساعة تماماً كعُدي ؛ ما هيَ إلا دقائق حتى استشعرتْ أذناي تلك الحركةَ الخفيفةَ في الخارج ، علِمتُ من خلالها أنهَ هنا ، لقد جاء..!

شعرتُ بنبضِ قلبي يتسارعُ مع أنفاسيَ التي باءت محاولتُها للانتظامِ بالفشل ، ازداد توتري حتى بلغَ ذروتِه مع انتظاري لِدخولهِ ، وعدتُ نفسي أن أُمسِك به وأشدّ وِثاقَه ، لن أسمح له بالهروب ككُلِّ مرة حتى لو كلَّفنيَ الأمرُ حياتي ..

كانتْ دقائقَ معدودةً حتى شعرتُ بالحركةِ تقتربُ شيئاً فشيئاً ثم وبدون سابقِ إنذار فُتِحَ البابُ بهدوءٍ مُعلِناً لي دخوله ، لقد تقصّدتُ إغلاقَ باب الشرفة ، فهو الخيارُ الوحيدُ لِهروبه ، وأنا لن أسمح لهُ بالهروب..

كانتْ أنفاسي تتسارع موازيةً نبَضاتَ قلبي التي أعلنتْ استعداده للخروج من صدري بأية لحظة ، سيطرتْ مشاعر القلقِ والخوف عليْ مع كل خطوة يقتربُ بها نحوَنا..

فتحتُ عينيَ نصفَ الفتحِ وأنا أتمنى ألا يراني وإلا سيكون الفشل نصيبنا للمرة الثالثة ، نظرتُ لأراه ؛ كان يرتدي بنطالَ جينز وسترةً سوداء ، الماسك (كمامة) الذي يضعُهُ والقبعةُ التي يرتديها كانا كفيلينِ لإخفاءِ وجهه ، لم يكن يحملُ أداة قتل ، لقد كان في جُعْبتِهِ قُطنٌ وبخاخٌ ما ..

انتظرتُ دقيقة ، انثنتان ومع الثالثة سمعتُ صوتاً آتِياً من الخارج..

كرم

ما زلتُ أقفُ مُختبِئاً أراقب الوضع من مكانٍ قريب ، لحظاتٍ حتى رأيتهُ يدخل المنزل ، لقد دخلَ بواسطة مفتاحٍ كان يحمله..

انتظرتُ ما يقارب العشرَ دقائق وهو ما كانَ كافياً لجعلهِ يدخلُ غرفةَ سراب وعُدي ثم دخلتُ خلفه ؛ افتعلتُ جلبةً بسيطة بقصدِ جعلهِ مشوشاً عن الشابانِ من جهة وكونها إشارتي إلى سراب من جهةٍ أخرى ، دقائقٌ من الصمتِ حتى سمعتُ صوتَاً قوياً في الداخل فأسرعتُ مساعِداً..

_عُدي_

فتحتُ عيناياَ على رؤية سراب مُستَلقياً توازيهِ الأرض و فوقهُ شخصٌ ما ، كانت لحظاتٍ حتى أستدركَ ما يحصل وأُسرُعَ باتجاه باب الشرفةِ أسعى لقفلهِ ، لن يهربَ الليلة..

دخلَ كرم من العدم مُسرعاً يُسانِد سراب حتى أمسكاه ، لا أصدق هذا ، لقد أمسكناهُ حقاً !

نظرتُ نحو سراب الذي صرخ يُحاول جعلي مستيقظاً بعدما سيطرَتْ الصدمة عليْ " أسرعْ وأحضر حبلاً "

ركضتُ نحو الغرفة المغلقةِ وأحضرتُ حبلاً كنتُ قد اشتريتُه سابقاً لأجلِ هذه اللحظة..

أمسكتهُ جيداً وهو يقاوم الهروبَ حتى الآن ثم قام كرم بربطهِ على كرسيٍ خشبي ؛ لم أستطعْ فهم أيّ شيءٍ حتى الآن ، كيف ومتى وما الذي حصل؟! ولكن سراب ابتسمَ لي قائلاً " سأشرح لكَ ولكن دعني أتصلُ بالشرطة أولاً "

ما إن سمعتْ أُذنايَ جملته حتى صرختُ مُعارِضعاً رأيه فقد أردتُ سماعَ ذلك القاتل وهو يعترفُ بجريمتهِ بحقّ عائلتي و ما هو الأمرُ الذي جعلهُ يرتكبُها !؟

نظرتُ نحوه ثم وجَّهتُ نظري نحو كرم طالِباً منه إزالة ماسكِ ذلك القاتل قائلاً له " لنتعرّف عليك "

عندما نُزِعَ ماسكه ورأيتُ وجهه صُدِمت لدرجة الاختناق ، رأيتُ نفسي أختنق دون استطاعتي للتنفس ، فلم يكنْ هذا ضمنَ توقعاتيَ نهائياً ، بعدما هدأتْ نفسي وجَّهتُ نظريَ نحوهُ و قلتُ مُحادثاً إياه " أخبرني لمَ فعلتَ هذا ، لمَ قتلتَ عائلتي وكنتَ تريد قتلي؟! لمَ؟!! "

رأيتهُ ينظرُ نحوي ، عيناهُ تملؤها الحقد وكأنني أنا القاتل..

كانتْ توقعاتي تخبرني أن القاتلَ قريبٌ مني ولكن لم أتوقع أن يكون هو ، لقد وثقتُ به من اللقاءِ الأول..

12

سراب

آلافُ المشاعر التي اجتاحتني لم يكن إحداها يستطيع الإفصاح واصِفاً ما شعرتُ به حينها ..

توقعتُ كل شيء و أيَّ أحد إلا أن يكونَ تيم ، لقد عرِفناهُ حديثاً فلمَ سيُقدِمُ على هذا ؟! لم يكن عقلي يستوعبُ هذا أبداً..

اقتربتُ من عُدي أحاول تهدئتهُ بينما كان يصرخُ في وجه تيم طالِباً تفسيراً لِما فعله ..

نظرتُ له ، يكاد الدخان يخرجُ من رأسه بعدما احترق غضباً ؛ حاولَ جاهِداً انتشالَ نفسه من رمادِ الحزن والغضب ، أمسكته مُحاوِلاً تهدئته أكثر ما يمكن..

_عُدي_

لم أعلم ما المشاعر التي سيطرتْ علي ، أكانتْ غضباً أم صدمةً أم خليطاً جمعهما !؟

طلبتُ التفسير من تيم ما يقاربُ الثلاثَ مرات ولكن إجابتهُ لم تكن سوى صمتٍ قيَّد كلماته و حقدٍ يشعُ من نظراته..

كدتُ أضربه مع رغبةٍ في نفسي لتشويههِ لولا يديْ سراب التي منعتني من ذلك ..

انتظرتُ بِضع دقائق أُعطيه وقتاً قبل أن ينطق كلماته " لقد انتقمتْ ، هذا ما يهمني ، أن أنتقم منكَ ومن عائلتكَ تلك "

لم أستطعْ تمالكَ نفسي مع نهاية جملته لألكمهُ جاعلاً بضع قطراتٍ من الدم تُزيّنُ شفتاه..

تيم

لم أتوقع هذا ، لم يخطر لي أن يتغير شيء من خطتي ، كان عليَّ أن أكون أكثر حذراً.

قررتُ التحدُّث ، الإفصاح والاعتراف بكل شيء ، رأيتُ كرم وهو يفتح كاميرا صغيرة كان قد أخرجها من جيبهِ ثم وضعها أمامي..

لم يكن الأمر مهمَّاً لي ، لا أهتم بشيء وليس لديَّ ما أخسره ، كان كافياً أن أحصل على انتقاميَ وألا أجعلَ دم أخي يذهب سُدى ..

نظرتُ نحو سراب ثم نحو كرم وفي النهاية استقرّت عينيَّ على عُدي الذي يثور غضباً كبركانٍ ثار بعد ألفِ سنةٍ من الخمود ..

بدأتُ حديثيَ قائلاً " سأعترف ، سأخبركَ بكل شيء " ومع ابتسامةٍ مستفزَّة أكملتُ قائلاً " سيكون هذا من دواعي سروري"

ما إن انتهتْ جملتي الأخيرة حتى سالَ الدم من جديدٍ إثرَ لكمةِ سراب..

بدأتُ اعترافي سارِداً كل شيء بما في ذلكَ أدقَّ التفاصيل و قائلاً " أنتم لا تعلمون هذا ولكن عائلتي مؤلفة من أربعة أشخاص أمي ، أبي ، أنا وأخي الذي توفي منذ ما يقارب السنة..

لقد كان أخي يحبُّ شقيقة عُدي ، إذ عاشا معاً طفولةً واحدة و درسا في ذاتِ المدرسة ودخلا الجامعة ذاتها ، كان أخي عاشِقاً لها منذ نعومةِ أظفارهِ ، ولكن عندما تشجَّع وأخبرها بحبه الذي دفنهُ في صميم قلبهِ أكثر من عشر سنواتٍ أخبرَتهُ أنها لم ولن تحبه وأنه لا شيء بالنسبةِ لها ، ليس أكثرَ من صديق طفولةٍ عادي ، كان هذا كافِياً لجعله مصدوماً ثم حزيناً ثم مُكتئِباً ، سيطرت لعنةُ الاكتئابِ عليه عدةَ شهور ورغم كلِّ ما فعلناهُ من أجل انتشالهِ من تلك اللعنة إلا أننا لم نستَطع..

سراب

كانت بُؤرةُ صدمتي تتسعُ مع كل جملة كان ينطِقها تيم ولكن بلغتْ حدها الأقصى برؤيتي لدموعهِ وهو يتحدثُ قائلاً " لقد جئتُ إلى هنا ما يقارب الألفَ مرة ، كنتُ أحاولُ إقناع شقيقتكَ تلكْ بالذهاب معي ورؤيتهِ ، التحدثَ إليه ومساعدتهِ ، فعلتُ كل شيءٍ يمكنُ فعلهُ ؛ لقد طلبتُ مساعدتها وتوسَّلتُ إليها و بالرغم من أنَّها السبب في كل ما حصلَ لأخي إلا أنها رفضتْ في كل مرة أن تذهبَ إليه أو تتحدثَ معه ، كان هذا كافياً لجعليَ أحقدُ عليها وأكرهها..

ثم في يومٍ من الأيام ، استيقظتُ على صوتِ أمي ، لقد كان صراخُها يصلُ إلى نهاية الشارعِ ، ذهبتُ راكِضاً نحوها أحاولُ استطلاعَ سببِ صراخها الذي أدركتهُ مع رؤية أخي منتحِراً ؛ لقد مات بسببها ، بسببِها هيَ لذلك قتلتها وقتلتُ جميعَ أفراد عائلتها ، لقد انتقمتُ لأخي ولستُ نادِماً..

13

كرم

بعدما أنهى تيم اعترافهُ نظرتُ نحو سراب الذي لم يكنْ أقلَّ صدمةً مني ومن عُدي ، سمحتُ لنفسي أن تطلبَ منهُ شرح طريقة الإيقاعِ بتيم ، سيكون تسجيلُ هذا مع تسجيل اعترافٍ تيم كافِياً وأكثر إفادةً للشرطة..

نظرَ سراب نحو تيم ثم قال " لم أكن مُطمئناً لخطتهِ تلك ، أن ننامَ دونَ اهتمامٍ بالقاتلِ الذي سيدخلُ إلينا وغالباً سيقتُلنا قبل وصولِ أحدٍ لإغاثتِنا ، بالرغمِ من الكاميرا التي وضعناها إلا أنَّ كرم لم يكن ليستطيعَ اللحاقَ بنا ، كُنا سنُتقَلُ لا محالَ ، فمكانُ مراقبة كرمٍ لنا بتلك الكاميرا تبعد عشرَ دقائق عن منزلنا ، الوقت سيكون كافياً جداً له ، ولهذا ذهبتُ نحو كرم الذي لم يكن أقلَّ مني قلقاً واتفقتُ معهُ على أن أمثِّل النومَ بينما يختبئ هوَ في مكانٍ قريبٍ من المنزل ويراقبَ الوضع ومع دخولِ القاتل إلينا سيشتِّتُ انتباههُ بصوتٍ يصدرهُ عند دخوله خلفهُ ببضعِ دقائق وعندها سأستغلُّ تشتُّتهُ وأمسكُ به".

بعد اعترافِ تيم تم تسليمهُ إلى الشرطة مع كافةِ الدلائل التي أدانتهُ وأدانتْ والده فقد كان الرأس المخطط لكلِّ شيء كما أنهُ كان ناقلَ الأخبار والعميل الذي حضِر تخطيطَ جميعِ خُططنا..

لم يكن هذا متوقَعاً لأحدٍ منا ، كان يبدو عجوزاً صالحاً..!

أخبرني سراب لاحقاً أنه تم سجنُ تيم ووالده باسم بعدما اعترفا بكلِّ شيء ، حُكِم عليهما بالسجنِ لمدة عشرِ سنوات بعدما أُخِذ ما حصل لفقيدهم بعينِ الاعتبار..

سراب

نظرتُ إلى ساعتي أتفقدُ الوقت ثم ندهتُ بأعلى صوتي" هيا أسرع سنتأخر "

طُرِقَ البابُ فاستقمتُ فاتِحاً ليُقابلني رجلين يقفانِ أمامي ، لم أعلم من هما إلا بعدَ صرخةِ عُدي التي أشارتْ مُعلِمةً إيايَ أنهما صديقاهُ من خدمتهِ العسكرية " لا أصدق إبراهيم ، سالم أنتما هنا "

تعالتْ بعدها الضحِكات والأحضان ، و خلال دقائق كان كرم قد وقفَ أمامنا ثم قال دون أيةِ سوابق " عُدي ، إن لم تسرع لن أذهب لطلبِ تلكَ الفتاة لكْ ، أسرع وإلا لن تتزوج هذه السنة .."

نبذة عن المؤلفة

الاسم: ولاء عدنان علي عثمان

الدولة: سوريا

أعمال سابقة:

- لا توجد